مقاربـــــة منهجيـــة للوصول إلى المعـــنى الصحيح أو الأقـــرب إلى الصحة في فهمنا للمفردة القرآنـية

أ.د. عبد السلام مقبل المجيدي

مقاربة منهجية

للوصول إلى المعنى الصحيح أو الأقرب إلى الصحة في فهمنا للمفردة القرآنية

مثال: ﴿أَسِفًا﴾ [الأعراف: ١٥٠]:

عندما ننظر إلى المصطلح القرآني الذي أوجدته مفردة قرآنية استعملت استعمالًا متميزًا، فإننا ينبغي أن نعالج هذه المفردة وذلك المصطلح وَفْق عِدَّة إجراءات:

١) أن ننظر إلى معناها اللغوي، وتغيُّرِهِ، وتطوُّرِهِ، وهذا يقتضي مراجعة المعاجم اللغوية ابتداء بالأقدم، ومرورًا بالمعنى اللغوي في غير مظانِّ هذه المعاجم، فالمعاجم لا تمثِّل الملاذ الوحيد لفهم تلك المفردة، فقد نجد في كتب الأدب، والشعر، والتفسير ما يحبونا بمعانٍ مختلفة نوع اختلاف.

٢) تعدُّدُ الاستعمال القرآنيِّ لهذه المفردة، والنظر في السياق لتحديد معناها.

٣) ننظر إلى الاستعمال النبويِّ في الأحاديث المقبولة لتلك المفردة ضمن سياقها مع الاحتراس من شيء خطير: **وهو أن يغلب على الظنِّ عدم الرواية بالمعنى**، وإلا فلا يتحقَّق الاستدلال لمعنى تلك المفردة؛ إذ يحتمل أنه لا وجود لها في لسان النبي ﷺ، وإنما أوردها الراوي لأنه يرى صحة الرواية بالمعنى، فوضع للمعنى الذي فهمه مفردةً عزاها إلى النبي ﷺ.

- كيف يغلب على ظننا أن الراوي لا يروي بالمعنى؟
- ينبغي استحضار الروايات المتعدِّدة للحديث الواحد حتى نصل إلى قرار.
- في حالة ألا يغلب على الظن أن يكون الحديث مرويًّا بلفظه بل بمعناه، فهنا يمكن النظر إلى تلك المفردة على أساس أنها من قول واحد من الرواة، ثم ينظر مَنِ الراوي.

٤) أقوال السلف في معنى هذه المفردة مع التنبُّه إلى طرقهم في التفسير، فقد يفسِّرون العامَّ بالخاصِّ، والخاصَّ بالعامِّ، والمفردة بضرب المثال دون نصٍّ على أنه مثال، والجملة أو الآية بالتنصيص على معنى بعينه دون أن يلزم من ذلك التخصيص، وقد يفسِّرون الكلمة بمقاربها، أو بأدنى مثال يدخل فيها، وقد ضربت لهذا أمثلة كثيرة في تحليلنا لكتابَي مسائل نافع بن الأزرق، ومعاني القرآن للفراء.

٥) إيراد أقوال المفسِّرين بعد ذلك، وفهمهم لتلك المفردة أو ذلك المصطلح، واستخلاص ما يمكن أن يكون أقرب في تحديد ذلك المعنى.

٦) عند مقارنة أقوال المفسرين ينبغي التنبه إلى المتقدِّم والمتأخِّر، ومَنْ أخذ عن الآخر، فلم يَزِدْ، ومَنْ أخذ فغَيَّرَ تغييرًا محمودًا، ومَنْ أخذ فغَيَّرَ تغييرًا مذمومًا.

هذه الضوابط مشروع كبير لتأليف كبير نتكلم فيها عن الأقرب إلى المثالية.

فعند معالجتنا لكلمة {أسف} في القرآن ينبغي أن نكون أكثر احترازًا في بيان معناها الجامع، وذلك لأنه وردت متعلقة بالخالق، ومتعلقة بالمخلوق

فالأسف في مكانه المناسب صفة قيادية:

١) رأى الطبري ﵀ في قصة موسى ﵇ أن الأَسف منزلة أعلى من الغضب، فهو شِدَّةُ الغضب، والتغيُّظُ به على من أغضبه[١].

٢) عرَّف الراغب ﵀ الأسف بأنه ثوران دمِ القلب شهوةَ الانتقام، فمتى كان ذلك على مَنْ دونه انتشر فصار غضبًا، ومتى كان على مَنْ فوقه انقبض فصار حزنًا[٢].

٣) ولم يُحْسِنِ الواحديُّ ﵀ في النظر إلى الفرق بين الصفتين هنا، حيث ذهب إلى أن «الغضب من الحزن؛ والحزن من الغضب، فإذا جاءك ما تكره ممن هو دونك غضبت، وإذا جاءك ممن هو فوقك حزنت، يسمى أحدهما: حزنًا، والآخر: غضبًا، وأصلهما أن يصيبك ما تكره... فَعَلَى هَذَا كَانَ مُوسَى ﵇ غَضْبَانَ عَلَى قَوْمِهِ لِأَجْلِ عِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ، أَسِفًا حَزِينًا لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى فَتَنَهُمْ، وَقَدْ كَانَ تَعَالَى قَالَ لَهُ: {فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ} [طه: ٨٥]»[٣].

فالواحدي ﵀ عرَّف الغضب بقوله: "أصلهما أن يصيبك ما تكره"، وهذا تعريف لسبب الغضب والأسف، ولكن هذا الكلام غير دقيق، فإن الغضب قد يكون من الأدنى والأعلى، والحزن كذلك: {وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ} [آل عمران: ١٧٦].

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ١٢٠).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٧٥).

(٣) التفسير البسيط (٩/ ٣٦٦).

فهل يأسف موسى عليه السلام لأن الله عز وجل فتن بني إسرائيل أي اختبرهم؟ الاختبار هو حال الحياة كلِّها.

يظهر لي أن أصل معنى الأسف: الحُزْنُ المقترنُ بالرِّثاءِ المُشفقِ على المأسوفِ عليه، والتلهُّفِ على المتأسَّفِ عليه لحالٍ بائسٍ وقع فيه، مشتقٌ من الأرض الأَسيفة: وهي الَّتِي لَا تُنْبِتُ شَيْئًا، والْجَمَل الْأَسِيف: وَهُوَ الَّذِي لَا يَكَادُ يَسْمَنُ، وسدَّد الله عز وجل ابن فارس رحمه الله فقال في تعريفه: "أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الْفَوْتِ، وَالتَّلَهُّفِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ"[1].

وهنا يمكن أن تتضح لنا آية الزخرف في المعنى العامِّ {فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ} [الزخرف: ٥٥]، فالتفريق يكون في الكيفية أو في التفصيل، فلا نعرِّفُ الأسف بأنه ثوران دم القلب؛ لأن المغضب أو الأسف قد لا يثور دم قلبه، وقد نسميه غضبان أو أسفًا.

وكان موسى عليه السلام غضبان من تغييرهم لمنهجه، وتأسيسهم للشرك، أسفًا عليهم، مشفقًا لحالتهم، أمَّا أن الله عز وجل فتنهم، فالفتنة بمعنى الاختبار حال المتقدمين والمتأخرين، والجن والإنس أجمعين، ولا يليق أن يقال: حزن لأن الله عز وجل فتنهم.

والحمد لله ربِّ العالمين

وصلَّى الله وسلَّم على سيدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين

(١) مقاييس اللغة (١/ ١٠٣).

@Dr_Almajeedy /AlmajeedyDr
/Quranok Quranok.com